

المرأة ونماذجها في القرآن الكريم



لقد طرح القرآن الكريم المرأة من خلال نماذج كثيرة منها ما هو صريح، ومنها ما هو من باب الإشارة، يمثل كل نموذج منها تطبيقاً لأهم قضايا الإنسان من خلال شخصية المرأة، وهي النماذج القرآنية التي تناولت هذا الموضوع، نتناولها بتسليط الضوء عليها :

الأول: زوجة آدم (حواء) من خلال قوله تعالى: (وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَثَرًا وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا...) (البقرة / 35).

الثاني والثالث: امرأتا نوح ولوط من خلال قوله تعالى: (ضَرَبَ اللَّيْلَةُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا...) (التحریم / 10).

الرابع: زوجة إبراهيم الأولى (سارة): من خلال قوله تعالى: (قَالَ يَا وَيْلَتَا أَلَدْتُ وَأَنَا زَاهِيَةٌ هَاجِرَةٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا...) (هود / 72).

الخامس: زوجة إبراهيم الثانية (هاجر): من خلال قوله تعالى: (رَبِّ انْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ مِنْ دُونِ السَّمَاءِ الذِي زَرَعْنَا عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ...) (إبراهيم / 37).

السادس: أم موسى: من خلال قوله تعالى: (وَأَصْحَابُ فُؤَادٍ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا إِنْ كَادَتْ

لَتَتَّبِعِدِّي بِهِ... (القصص/ 10).

السابع: اخت موسى (كلثم): من خلال قوله تعالى: (وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ) (القصص/ 11).

الثامن: زوجة موسى (صفوريا أو صفيراء): من خلال قوله تعالى: (قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَزْكِكَ إِنْ حَدَّثْتَنِي هَاتَيْنِ عَلَيَّ أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِي حَرْجٍ...) (القصص/ 27).

التاسع: زوجة فرعون (آسية بنت مزاحم): من خلال قوله تعالى: (وَضَرَبَ اللّٰهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِّي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ...) (التحریم/ 11).

العاشر: ملكة سبأ (بلقيس) من خلال قوله تعالى: (إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ) (النمل/ 23).

الحادي عشر: زوجة عزيز مصر (زليخا): من خلال قوله تعالى: (وَرَأَوْدَتُهُ السَّتْرَ هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ...) (يوسف/ 23).

الثاني عشر: امرأة عمران (حنّة): من خلال قوله تعالى: (إِذْ قَالَتِ امْرَأَةٌ عِمرَانُ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا...) (آل عمران/ 35).

الثالث عشر: ابنة عمران (مريم): من خلال قوله تعالى: (وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمرَانَ الَّتِي أَحْصَيْنَا فَرْجَهَا...) (التحریم/ 12).

الرابع عشر: ابنتا شعيب (ع): من خلال قوله تعالى: (.. وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ...) (الفصص/ 23).

الخامس عشر: زوجة زكريا (اليصابات) وهي خالة مريم: من خلال قوله تعالى: (فَاسْتَجَابَ لَهَا لَهُمْ وَوَهَبَ لَهَا لَهْفُ بِحَبْلٍ وَأَصْلَحَ لَهَا لَهُ زَوْجُهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَهَا رِغْبًا وَرَهْبًا وَكَانُوا لَهَا خَاشِعِينَ) (الأنبياء/ 90).

السادس عشر: بعض أزواج النبي (عائشة وحفصة) كما في إجماع المفسرين: من خلال قوله تعالى: (وَإِذْ أَسْرَّ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللّٰهُ عَلَيْهِ...)، (إِنَّ تَذُوبًا إِلَيَّ اللّٰهُ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللّٰهَ هُوَ مَوْلَاهُ...) (التحریم/ 3 و4).

السابع عشر: زينب بنت خزيمة (أُم المساكين): من خلال قوله تعالى: (.. وَامْرَأَةٌ مُّؤْمِنَةٌ إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا...) (الأحزاب/ 50).

الثامن عشر: زوجة زيد بن حارثة (زينب بنت جحش): من خلال قوله تعالى: (.. فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاهَا...) (الأحزاب/ 37).

التاسع عشر: زوجة أبي لهب من خلال قوله تعالى: (وَأَمْرًا تُهْدِيهِمْ إِلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ * فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ) (المسد/ 4-5).

العشرون: خولة بنت ثعلبة التي جادت الرسول في زوجها من خلال قوله تعالى: (قَدْ سَمِعَ اللَّاهُتُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ...) (المجادلة/ 1).
الحادي والعشرون: فاطمة بنت محمد: من خلال قوله تعالى: (فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ آبَاءَنَا وَآبَاءَكُمْ وَنَرِيسَاءَنَا وَنَرِيسَاءَكُمْ...) (آل عمران/ 61).

الثاني والعشرون: عائشة أو مارية القبطية على بعض الروايات: من خلال قوله تعالى: (إِنَّ السَّادِّينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم...) (النور/ 11).
وهذه نبذة مختصرة عن النموذج القرآني حواء (ع):

حواء (ع): زوجة ناجحة، وعاطفة نبيلة، وموقف ثابت

لم تكن في الجنة مشكلة أُسريّة بينها وبين زوجها الذي خُلِقَ من نفسه (وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا...) (الروم/ 21)، لا من طلعها كما تقول الروايات الإسرائيلية، بل كانت حياتهما مرفّهة ورغيدة؛ وذلك لأن كل شيء موفّرٌ إليهما، ولا أحدٌ غيرُهما يُنازعهما الرفاهية والهناء، أو يزعج هذه المشيئة إلاّ ما دلاهما عليه الشيطان بغرور (فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا) (البقرة/ 36). لا كما تدعي التوراة المحرّفة من أن المرأة هي مصدر الشر وهي العنصر المتهم بذلك والمبتدئ به حتى اشتهر ذلك مثلاً على لسان العرب الكافر انطلاقاً من هذه الثقافة.

كان مصيرها (ع) مصيرَ زوجها آدم في السّراء والضّراء؛ وكانت ترى أنّها مطلوب منها أن تأخذ بالنصح الإلهي لها ولزوجها في الجنّة، شاركتها فيما جرى لهما بعد ذلك فيها، وفي الهبوط منها بأمر الله، والندم والتوبة ممّا صدر منهما، والعيش في الأرض، تلقّي كلمات الله وهدايته، والرجوع من خلال هذا الهدى باختيارها واختيار الخليفة آدم الذي اختاره الله وفضّله لذلك وتبعيتها ومشاركتها له (قُلْنَا إِنَّا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنْ بَيْنِ يَدَيْ هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) (البقرة/ 38).

إنّّها كانت نموذجاً لحياة السّكن والاستقرار مع زوجها، والتزام الهدى الإلهي بإخلاص، وطراراً فريداً في المعية المتوادة المتراحمة، وأوّل ريحانة على وجه الأرض، لم تتخلّف في طريق الهدى وهو يُعرّض عليها وعلى زوجها. تجاهد بوعي تامّ أمام إغواء إبليس وعداوته التي كانت له في نفسها بقدر حرمانها من رغيد عيش الجنّة وحياة الزوجية الهانئة فيها، ولهذا ما كان لإبليس أمام هذا الكمّ والنوع الكبير من العداوة في نفسها ونفس زوجها إلا أن يَأس منها ومن زوجها، ويذهب للتهديد باحتناك ذريّتهما - الإستيلاء عليهم واستئصالهم بالإغواء - التي ما عاشت التجسيد لقضية الحرمان

مثلما عاشاها .

أنا متأكدة أن عواطف الأم حواء على ذرايها وهي تعلم أنهم سيعانون من الإحتناك الشيطاني الطويل بطول فترة إنظار هذا الأخير لـهي عواطف لا تقل عن الإحساس بمرارة حرمانها هي، فماذا عسى الأبناء أن يعملوا لبرها وبر عاطفها هذه إلا أن يقتدوا بها في ذات الوعي في فهم العداوة والحسد الشيطاني، واتخاذ ذات الموقف منهما .

- من وجدانيات الأم حواء :

إيه أيها الشيطان إنك إن حرمتنا من لذائذ الجنة وغيبت عن نواظرنا مناظرها الجميلة ومرابعها الخميلة، وصممت أن تغوي أبنائنا وتسلك بهم ذات الطريق الذي سلكته معنا، فأنا أقول لك: إن آدم تلقى من ربه كلمات فتاب عليه وهو التواب الرحيم، واصطفاه والخيرة من ذريته وكرمه على العالمين، وأنزلنا علينا لباساً لا تستطيع أنت ولا وساوسك أن تنتزعه عداً ألا وهو لباس التقوى (.. وللباس التقوى ذلك خير...) (الأعراف/ 26)، ورزقنا التوبة الصادقة، وأنا معه على الخطى والأثر، وأقول لك على لسان آدم وكل النبيين من أبنائنا وعلى لسان كل النبيين من أبنائنا وعلى كل أبنائنا المخلصين: إن من يتبعك من ذرايرنا فهو عمل غير صالح، ولا نخاطب إلا فيه وفي الذين ظلموا ويظلمون أنفسهم بالتباعك، وإعلم إن الهدى الذي جاءنا لا يقاس بالإغواء الذي تغتال به من اتبعك من الغاوين، وإننا نقول لك على لسان بناتنا الصابرات: فكديك، واسع سعيك، وناصب جهدك، فوالا لا تمحو ذكرنا، ولا تُميتُ وحيانا، ولا تدرك أمدنا، ولا ترحصُ عنك عارها، وهل رأيك إلا فند، وأيامك إلا عدد، وجمعك إلا بدد، يوم ينادي المنادي ألا لعنةُ إلا على الظالمين.

نعم لقد كشفت أيها الشيطان عن كل الخطط والخيوط التي في جعبتك، ولقد دوسنتها السماء وستدوسنها في صحائف أهل الأبرار وحي إلى الأنبياء، وقصصمتها أنا وزوجي آدم لكل أبنائنا، وقصصنا كل الملحقات التي لحقتنا بها في الأرض، وتركنا هذا الميراث والهدى في جملة ما تركناه وما أورثناه إلى الأبناء، ليرجعوا من خلاله إلى وسائل النجاة والخلص منك ومن حيلك.

كل هذا إليكم أيها الأبناء فتقبلوه من أممكم حواء التي ترجو منكم السير على خط الآباء من الأنبياء (قَالَ رَبُّنَا ظَلَمْنَاهُ أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ) (الأعراف/ 23).

المصدر: كتاب مجلة الرياحين